التكوين الإنساني في التاريخ عند هيردر

DOI: fqhj.v1i43.16162/10.36324

أ .م .د محمد حبيب سلمان الخطيب

جامعة الكوفة/ كلية الآداب/ قسم الفلسفة

الباحثة: نور علاوي رسول سلمان

الملـخّـص

إن فلسفة التاريخ عند هيردر الذي تتهتم بالتكوين البشري بشكل عام، ولا يمكن تمييزها عن فلسفة كوندورسيه، لكن هيردر، وفقًا لشهادة العديد من الفلاسفة الآخرين، هو الأكثر فلسفية في التاريخ كما أن فلسفة التاريخ هي فلسفة الحضارة بالنسبة له إذا كانت فلسفة التاريخ هي النظر إلى الحقائق التاريخية وعقلانيتها، فإن البحث هو دراسة الحضارة الإنسانية التي تأخذ في الاعتبار حقيقة أن البشر أصبحوا شيئًا من الماضي وقد يمثل الإنسان العلاقة بين عالمين، العالم الطبيعي الذي نشأ منه والعالم الروحي الذي لا يوجد منه وجود مادي في هذا الهيكل البشري، ومن أجل تحقيق هدف الوجود في العالم الروحي، يجب على الإنسان محاربة الميول الهدامة لنفسه وللمجتمع من أجل إفساح المجال لظهور عوامل الصيانة والتنمية ومن هنا كبر العقل وزادت انتصاراته في تحقيق العدالة في الأساس، التاريخ هو شبكة من العمليات التي يبذل فيها البشر جهودًا، يتم اختيارهم بحرية، لتحقيق قدراتهم وطاقاتهم للوصول إلى العالم الروحي والمثالي

الكلمات المفتاحية : (الحقائق التاريخية، العالم الروحي، العناية الالهية، السرد التاريخي، الظواهر البشرية، التطور، التقدم).

Summary

This research has dealt with Herder's philosophy of history, whichh is concerned with human formation In general, and It cannot be distinguished from Condorcet's philosophy, but Herder, according to the testimony of many other philosophers, Is the most philosophical In history just as the philosophy of history Is the philosophy of civilization for him If the philosophy of history Is looking at historical facts and their rationality, the research is the study of human civilization that takes Into account the fact that humans have become a thing of the past and man may represent the relationship between two worlds, the natural world from which he arose and the spiritual world from whichh there is no physical presence in this human structure, and from In order to achieve the goal of being In the spiritual world, man must fight against the destructive tendencies of himself and society In order to make room for the emergence of factors of maintenance and development. Hence, reason has grown and Its victories have increased In achieving justice. Basically, history Is a network of processes In which human beings make efforts, they are chosen freely, to realize their abilities and energies to reach the spiritual and ideal world .

Keywords: (Historical facts, spiritual world, divine care, historical narrative, human phenomena, evolution, progress)

مقدمة

بدأت فلسفة التاريخ بعد التطور مرتبطة بالإنسان ونموه وتقدمه وانتماءاته وارتباطه بالعشائر والمذاهب والأمم، وكيف ارتبط بها. وهكذا تقدم الغرب وتطور باكتشاف أشياء جديدة لم يكن يعرفها، وله الفضل الأكبر في اكتشافها وأهمها الإنسان، والتاريخ، والوقت، والتقدم، أو الحب والموت، والتاريخ لم يكن كذلك. اكتشف وعي الإنسان، إلا في الحضارة الغربية، بالإشارة إلى الحضارة القديمة والتطورات التي حدثت منذ القرن الثامن عشر، والتي أجابت على سؤال كيف تتقدم الشعوب؟ ما هي مراحل تقدم الانسان، وأن فلسفة القرن الثامن عشر تجمع بين أن البشرية وصلت إلى الكمال والنضج، وبالتالي كانت فلسفة التاريخ مهد الثورة الفرنسية، وهي أعظم إنجازات الغرب التي فجرت فلسفة التنوير.

كانت فلسفة التاريخ نتاجًا للثورة الفرنسية والثورة البرجوازية، والتي ساهمت في صياغة مفاهيم العقلانية والتقدم وأثرت على عقول الناس وتصوراتهم حول عملية التنمية الاجتماعية، وخاصة كتابات مونتسكيو .

التفكير في التاريخ هو في الأساس التفكير في معنى التاريخ، لأنه مغامرة إنسانية، وهذا التاريخ ليس فقط تنظيمًا لمراحل الزمن التي ننتقل فيها من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، بل هو كذلك. تشكيل إرشادي يحدد معنى الحدث من خلال وضعه في سياقه الزمني، وهو أيضًا تشكيل نهائي يحدد اتجاه التاريخ، بينما يرسم ملامح مصير الإنسان. هل التاريخ يخضع لاتجاه ونظام؟ هل للتاريخ معنى أم أننا من نعطيه معنى؟

وهيردر رأى أن لحظتين في التاريخ غير متساويتين، كما أن ومضتين من التاريخ لا تساوي الصوفي، أي أن مجرى التاريخ تقدمي، وأن كل مرحلة تتفوق على السابقة ولها طابع علمي. والأسس الطبيعية ركزت بشكل أساسي على الحرية والوعي، لكن هذه الحرية وهذا الوعي يميلان إلى تحقيق هدف التاريخ.

المطلب الاول

فلسفة التاريخ عند هيردر

فلسفة التاريخ عند هيردر* تهتم بالتكوين الإنساني بصورة عامة ، ولا يمكن تمييزها عن فلسفة كوندورسيه ولكن هيردر، وفقًا لشهادة العديد من الفلاسفة الآخرين، هو الأكثر فلسفية في التاريخ ، فأن انطلاقة هيردر الأساسية هو الأنسان وحده لأنه الصانع لكل شيء من لغة وتاريخ وحضارة وسياسة وتواصل مع البقية كما ان فلسفة التاريخ هي فلسفة الحضارة عنده إذا كانت فلسفة التاريخ هي النظر إلى الحقائق التاريخية وعقلانيتها، فإن البحث هو دراسة للحضارة الإنسانية تأخذ في الاعتبار حقيقة أن البشر قد أصبحوا من الماضي .

وبالنسبة له، التاريخ هو التاريخ الطبيعي للقوى والأفعال والميول البشرية لأنها تختلف حسب الزمان والمكان على الرغم من أنه لم يشرح التطور، على الأقل بأي طريقة نهائية شدد على ارتباط الإنسان ببيئته المادية وبأشكال الحياة الدنيا كما يؤكد على التنظيم البشري فالإنسان "منظم" من أجل العقل والحرية لقد جاء إلى هذا العالم ليتعلم العقل ويكتسب الحرية، حتى يتمكن من القول إن الطبيعة البشرية تكمن في الأنسان وهي شيء يجب تطويره، وقد يتوضح للوهلة الأولى، وكأنه تناقض في الافكار إذا تحدث المرء عن وجود البشرية بأنها تكمن في الأنسان ومع ذلك، فإن هيردر يستخدم الكلمة من معنيين ؛ قد تكون فكرة مثالية يمكن للإنسان بلوغها، أو قد تكون إمكانية بلوغ تلك المثالية، لذا فإن المثالية تكمن في الإنسان، ويمكن أن يقول هيردر إن الإنسان منظم من أجل الإنسان كان الانسان هناك من قبل لأنه كان كيانًا ماديًا ومع ذلك، لديه إمكانات الكمال البشري، أي إمكانات غير إنسانية[١].

وقد ساهم بشكل كبير في وجهات نظر مختلفة حول الطبيعة البشرية والفكر والدافع في أفكار لفلسفة التاريخ البشري (١٧٩١)، وقد جادل بأن المنهجية التاريخية للطبيعة البشرية تعطينا فهمًا تاريخيًا للطبيعة البشرية، وأن الطبيعة البشرية ليست سوى نتاج التاريخ، والسلوك البشري كتطور للتاريخ وقد تختلف من مرحلة إلى أخرى، فقد أرست وجهة نظر هيردر معيار فلسفة التاريخ ونظرتها إلى الطبيعة البشرية، والتي ورث منها علماء مثل هيجل ونتشه الشكل الاجتماعي للطبيعة البشرية في القرن التاسع عشر، والهوية الاجتماعية [٢].

المطلب الثاني

اهمية الإنسان في التاريخ عند هيردر

وفقًا لهيردر، يمثل الإنسان العلاقة بين عالمين، العالم الطبيعي الذي نشأ منه والعالم الروحي الذي لا يوجد منه وجود مادي في هذا الهيكل البشري، كما ان من أجل تحقيق الغرض من الوجود في العالم الروحي، يجب على الإنسان محاربة الميول المدمرة لنفسه والمجتمع من أجل إفساح المجال لظهور عوامل الصيانة والتطور ومن هنا تنامى العقل وتزايدت انتصاراته في تحقيق العدل وفي الأساس ان التاريخ عبارة عن شبكة من العمليات التي يبذل فيها البشر جهودًا، يتم اختيارهم بحرية، لتحقيق قدراتهم وطاقاتهم للوصول إلى العالم الروحي المثالي [٣].

ويعتبر هيردر من ابرز الذين تأثروا بالفيلسوف الإيطالي فيكو ولا غرابة في ذلك فأن لكتابات فيكو تأثير كبير على المؤرخين اللاحقين له وابرزهم هيردر.

وقد يرى هيردر انه اذا اردنا ان نفهم التاريخ الأنساني يجب علينا ان نفهم

مكان الأنسان في الكون وان ننظر للأنسان نظرة جدية ولذلك يأخذ البحث بالأنسان دلالته واهميته وذلك بأعتباره المدخل الصحيح للتاريخ بل وايضآ المدخل الصحيح للحضارة وذلك لأن للحضارة والأنسان علاقة متصلة فلا يجوز ان ندرس الحضارة بدون ان ندرس الأنسان، ولا يمكن ان تخلى الحضارة من الوجود الأنساني [٤].

وهنا يمكننا القول بأن فلسفة التاريخ عند هيردر متشابهة لما هي عليه عند فيلسوف التاريخ هيجل وذلك بأن الفلسفتان كانتا مسيحية وبرأيهم ان العناية الألهية هي اكبر محرك للتاريخ كما ان التاريخ هو من صنع الله وتخطيطه وبذلك يقول هيجل ان العناية الألهية هي التي تحكم التاريخ وان العالم يمشي بإرادة الله.

وبذلك فقد تختلف فلسفة التاريخ "الجديدة" هذه عن الفلسفة التحليلية للتاريخ في عدة جوانب مهمة كانت الفلسفة الجديدة أكثر ذاتية، حيث اتخذت تفسيرات متعددة على حساب مفاهيم أخرى مثل الموضوعية والحقيقة والانسجام مع الحقائق وما إلى ذلك نهج فلسفة التاريخ هو الميل نحو التوجه النظري نحو التاريخية على حساب الشمولية في فهم الطبيعة البشرية، أي موقف هيردر وليس فيكو الرأي السائد هو أن الوعي البشري ليس أكثر من منتج تاريخي، وأن المهمة الرئيسية للمؤرخين هي جمع ودمج آراء الماضي وضمها الى بعض [٥].

لقد كان هيردر في كتابه "فلسفة اخرى للتاريخ من اجل تكوين البشرية"، أكد، بعد تحديد المبادئ التي يقوم عليها التاريخ، على الطريقة التي يجب على المؤرخين اتباعها للكشف عن القوانين السارية في القرى النشطة تاريخيًا وحدد الطريقة كالآتي:

١_ الابتعاد عن السرد التاريخي القائم على الرعب أمام مقابلة موضوع على رؤية نافذة تخترق الحدث التاريخي كظاهرة طبيعية

٢- يسعى المؤرخ في سياق السرد لإيجاد الحقيقة الصارمة، التي تعتمد على الحكم الصحيح، حتى يفسر الحقائق المشهودة من حيث الحقائق المحددة التي سبقتها في الوقت أو الدرجة

٣_ المهم أن المؤرخين يدركون الظواهر التاريخية في خصوصيتهم ويسعون للكشف عن آثارها على المتلقين، بعيدًا عن الثروة والخيال، والتمسك بما شهدناه ومعروفًا.

وفي بوكيبورغ حرر هردر "فلسفة أخرى للتاريخ من أجل المساهمة في تربية الإنسانية وهو عمل هام أمكن اعتباره كواحد من المصادر الكلاسيكية للتاريخانية وفي هذا العمل عارض هردر اعتقاد فلاسفة الأنوار مثل فولتير واسحاق نيوتن في تفوق عصر التنوير على كل العصور الأخرى للتاريخ وقد وضع هردر النقط على الحروف حول المساواة في قيمة العصور الماضية وبشكل خاص العصر الوسيط مشيرا إلى أن لكل عصر وكل أمة فردية خاصة ،يجب أن يكون الحكم عليها بحسب المعايير الخاصة بذلك العصر وبتلك الأمة لكن إذا كان هردر يرفض المعتقد القائل في تقدم خطى الأنسانية، وبذلك انتقد أيضا المذهب الشكي لفولتير، وأخذ ثانية فكرة مسيرة إلى أمام للإنسانية ،مؤولا تطور الإنسانية انطلاقا من مقارنة بين مراحل الحياة :في كل عصر كل مرحلة، تنعكس الإنسانية في كليتها ،كما لو أنها عضوية نباتية أو إنسانية كل ثقافة ستكون لها مكانتها وقيمتها المستقلة، بالقياس إلى نظيراتها من الثقافات الأخرى :ينأى هردر هنا عن اتخاذ العصر الوسيط كمثال يحتذي به، كما يبتعد في الوقت نفسه عن طلب ترميمه أو إصلاحه نفس الثيمات الأساسية موجودة في كتابه "أفكار من أجل فلسفة تاريخ الإنسانية" (٦).

كما ان هيردر يرى ان التاريخ مثله مثل بقية العلوم يخضع للقوانين ويتأثر

بعوامل التقدم التي يسير عليها خطوة بخطوة وأن لهذا التقدم في التاريخ الأثر الفاعل في سير الأنسانية بالعقل حيث ان الأنسانية عند هيردر تسير على وفق العقل الذي سوف يؤدي بها الى الأستقرار الحتمي والذي سوف يوصلها الى العدل وينهي الفوضى التي اخذت بها الى الظلم....

وإذا انتقلنا من مستوى الاهتمام بأنشطة الوجود الإنساني إلى مستوى آرائه وأفكاره حول كل نشاط، أو بعبارة أخرى، انتقلنا إلى مستوى تنظيره حول كل نشاط، فانتقلنا بالتالي الى فلسفة هيردر؛ حيث تتجسد في فلسفته اللغة، وفلسفة التاريخ والفلسفة الحضارية وهنا نجد فلسفة هيردر للغة تؤكد على دور البشر في الخلق والأبداع وان اللغة لا يمكن ان تنعزل عن الأنسان ولا يمكننا ارجاعها الى مصدرها الأساسي وهو المصدر الألهي او الطبيعي بينما ترتبط أسطورة هيردر ارتباطًا وثيقًا بالبشر، قد تختلف الميول الأسطورية بين اليهود والعرب والإغريق والرومان، لكنها تعود ككل إلى مصدر واحد، وهو الميول، ونحن أهواء وميول الطفولة البشرية [٧].

ولا يشرح هيردر بشكل كامل ما إذا كان البشر سيصلون إلى العالم الروحي على هذه الأرض السفلى، أو ما إذا كان سيتم تحقيق ذلك في عالم آخر كما هو منصوص عليه في الدين السماوي وبذلك يكون هيردر وصف طبيعة حياة الإنسان على الأرض ،و اعتقد أنها وحدها غير كافية لفهم التاريخ برمته ومن الظلم أن يعتقد الله أن جيلًا ما يجب أن يعاني حقًا لأن جيلًا آخر له الحق في ربح جهوده في ضوء ما سبق، تحدد العدالة أن نضال البشرية على الأرض يتبعه تمهيد للمستقبل (عالم آخر) يكتسب (الخلود) ومع ذلك، لم يوضح هيردر هذه الفكرة بوضوح كافٍ، مفضلًا أن يقدم فلسفة التاريخ بلغة قريبة جدًا من التفسير البشري للتاريخ، دون التطرق إلى موضوع الله [٨].

"وتقوم فلسفة التاريخ عند هيردر على القول بأننا لا بد أن ندرس الماضي لنفهم مشاكل اليوم والغد، وقد شابه ابن خلدون في تشبيه الجماعات الإنسانية بالمخلوقات الحية وقال، بأن لها هي الأخرى أعماراً من الطفولة والصبوة إلى الشيخوخة، وأبـدى ذكاء بعيداً في فهم التاريخ الأوربي المعاصر له، وقد قال إن المؤرخ ينبغي أن « يحس » العصر الذي يؤرخ فيه إحساساً مباشراً، وابتكر لذلك فعلا في اللغة الألمانية هو Einfuehlen " (٩)

وعلى الرغم من ان هيردر كان تلميذآ لكانط ومتأثرآ به الا ان مؤلفات هيردر وافكاره تختلف كثيرآ عن مؤلفات وافكار كانط وان الأختلاف بينهما يبدو وكأن كل واحدآ منهم ينتمي الى عصر مختلف عن الأخر.

وبالنظر إلى المكانة المتوسطة للإنسان، نجد هيردر، قد دافع عن العديد من الظواهر البشرية، قبل تقدم قدرة الإنسان العقلانية واستخدام اللغة، وأيضًا وجود القدرات الأخلاقية والدينية ووفقًا لهيردر، فإن خصوصية وتفرد الوجود البشري، فمثلآ العنكبوت قادر على البناء، ولكن وفقًا لغرائزه فقط، فإن آلياته مصممة خصيصًا لهذا الغرض، ولا يمكنه بناء روابط أو مشاركة عواطف وأفكار الآخرين، وفقًا لهيردر من ناحية أخرى، قد تكون طريقة تفكير القرد قريبة إلى حد ما من أنشطة التفكير البشري، لكن سلوكه بالكامل هو مجرد محاكاة او تقليد فقط، وهو ما يتجاوز سلوك الحيوانات الأخرى مثل الفيلة والكلاب، ولكن من ناحية أخرى، لا يمكنه ربط أفكار الآخرين بإفكاره أو صنع شيء يقلده (١٠).

وبذلك نجد ان الأنسان يؤكد على تطوره في كل مرحلة من مراحل وجوده وان لهذا التطور الاثر الكبير في ان الأنسان يتوجه نحو المكانة المرموقة التي يمكن ان يكون عليها الفرد في هذا الكون والتي يستحقها فعلآ لكي تميزه عن غيره من

المخلوقات وبذلك فقد اثبت انه اسمى الكائنات الموجودة على الأرض وهو الحيوان العاقل المثالي الذي يتمتع بصفة العقل واللسان كما انه دائم التغير والتطور وهذا من اهم الاشياء التي عمل عليها هيردر.

" وقال إن هذا الإحساس المباشر هو الحاسة التاريخية، ولهذا فإن لفظ الحس أو الإحساس Das Geluchi، له عنـد هيردر معنى خاصا، وهو ممن قالوا بأن المؤرخ الحق هو الذي يستطيع أن يكون فكرة أو صورة عامة عن العصر أو الشخص أو الظاهرة التي يكتب عنها " (١١).

المطلب الثالث

دور فلسفة التاريخ عند هيردر

كما ان فلسفة التاريخ عند هيردر بدورها ان تعلي من قدر للإنسان وتشير له، بل أن ما قدمه في فلسفة التاريخ؛ أقرب ما يكون إلى دراسة متكاملة عن الإنسان، والإرتقاء بالبشرية، فنحن نجد بأن هيردر يؤكد بأن التقدم مستمر وأن كل شعب يبنى فوق ما بناه شعب آخر، وعلينا ان ننظر الى العصور الغابرة نظرة نسبية وخاصة للظروف التي كانت تعاصرها وان لا نعتمد على الحاضر في حكمنا عليها كما يقول بأن العالم قد صنع من أجل الإنسان وأن البشرية هي علته الغائية، "وفلسفة هيردر في السياسة ترفض كل ديكتاتورية وتؤكد الديموقراطية في أبعد صورها، بل لاتبدأ من مقولة الدولة ولكنها تبدأ من مقولة الأمة، باعتبار أن الأمم أسبق من الدول ومن ثم تتجه إلى المحافظة على العلاقات الطبيعية كالقرابة والزواج بديلا عن العلاقات السياسية المفتعلة"(١٢).

المطلب الرابع

علاقته بفلسفة التاريخ

يعرّف هيردر السعادة البشرية بأنها شيء ينبع من نفسه، من إلهام عبقريته، من روح زمانه وأرضه، ومن طاقاته، وليس شيئًا تمليه أذنيه أو فرضته على الطبيعة لأنه هو الذي يفرض سعادته على الآخرون الذين يساهمون في بؤسهم، فليس كل دواء يعمل مع كل مرض، وليس كل حضارة، بغض النظر عن مدى صقلها وهيمنتها، فهي معيار كل تقدم أو حضارة، يمكن القول أن هيردر أسس في أيامه ما يسمى "النسبية الثقافية"، لأن معيار الحقيقة هو ما يجده كل فرد في إعداده وبيئته، كل أمة في لغتها وتراثها هي أكثر من النسبية، الذي يسمح لكل فرد أو مجتمع باستخلاص نتائج رؤيته للحياة من نفسه ومن الأجزاء المكونة لتاريخه (١٣).

وقد عوض هيردر عن فكرة عصر التنوير القائلة بوجود طبيعة إنسانية واحده ثابتة بفكرة اخرى تؤمن بوجود الوان عديدة من الطبعية الأنسانية ذاتها وقد يعد كل لون منها فرضآ جدلياً يؤمن به التاريخ لا طبيعة تبلورت بفعل التاريخ، وفي عام ١٧٦٩ اعلن هيردر عن المبدأ الأساسي لنزعته النسبية يقول فيه " ان الطبيعة الإنسانية تحت بيئات مختلفة او ظروف مناخية متباينة ليست متماثلة كلية" (١٤).

كما حاول هيردر ان يثبت في كتابه؛ المسمى" آراء عن فلسفة تاريخ الإنسانية " إن التاريخ يخضع لقوانين مثل التي تخضع لها الأشياء والطبيعة؛ وقال كذلك بأن التاريخ يسير في اتجاه تقدمي واحـد، وايضآ تحدث عن التوازن الداخلي للجماعة والمجتمع وأن كل جماعة من هذه الجماعات ينبغي أن تحافظ على توازنها الداخل؛

وان فقدان التوازن ينتج عنه فوضى واضطرابات وظلم بحق الجماعات وكان هيردر علي يقين تام "بأن الإنسانية ستصل يوما بواسطة العقل والتجربة إلى حالة من التوازن تستقر معها أسس العدالة والنظام[١٥]

كما يفترض هيردر أن الإنسان منظم من أجل الدين، كما ان الدين والإنسانية مرتبطان ارتباطًا وثيقًا في الواقع، بحيث يمكن القول بأن الدين هو الطبيعة البشرية العليا، وأصل الدين، من وجهة نظر هيردر، هو أن الناس يستنتجون أسباب الظواهر غير المرئية من الظواهر المرئية، والقول ان، الدين ناتج عن الخوف _الخوف من الظواهر الجوية الخطيرة، والتي تهدد مثلا _ وذلك لتعريف خطأ غير مناسب تمامًا "ليس من المنطقي أن نقول إن الخوف هو من اختراع آلهة معظم الشعوب، لأن الخوف، إذا نظر إليه من منظور الخوف، لا يخترع شيئًا ؛ استنتاجه من المرئي إلى غير المرئي، أي استنتاج سبب خفي للظاهرة [١٦].

المطلب الخامس

دور فلسفة هيردر في الحضارة

(وفلسفة هيردر في الحضارة تأتي في جملتها محصلة لكل الآراء التي قدمها وطرحها في اللغة والتاريخ والسياسة والمجتمع، وهي تؤكد التفاعل العميق بين العوامل المعنوية والعوامل المادية الموضوعية في قيام الحضارة والحق ان هيردر لم يميز أو يفرق بين المظاهر المادية والمظاهر اللامادية للفعالية الإنسانية، أو بين ما يفعله وبين ما يفكر فيه الإنسان) [١٧].

قد يشارك الفن والتكنولوجيا والصناعة والتجارة في بناء الحضارة مثل الأفكار والمعتقدات والقيم والأساطير، والحضارة في حركتها مشتقة من الطبيعة الجسدية والروحية للإنسان، كما يبدو أنها نظرة وثيقة الصلة بالطبيعة البشرية في ضوء تكامل أنشطتها المختلفة [١٨].

وهنا يمكننا القول ان الكتابة التاريخية هي نشاط عقلي واعي، لذلك يجب الاعتراف بأن مثل هذه التأكيدات لم تعد موثوقة اليوم، بدلاً من ذلك، فإن التقييم الأكثر عمومية هو أن الكتابة التاريخية، سواء بدوافعها أو بمعاييرها، ليست نفس المعرفة مثل أشكال المعرفة الأخرى، من بين الشخصيات التاريخية، ان الأنسان لديه اهتمام خاص بالتاريخ، وهو أكثر ارتباطًا بالمعرفة التاريخية من أي معرفة أخرى ؛ لأنه من الصعب الفصل بين موضوع المعرفة ومعرفة الذات .[١٩]

وقد وضح التطور التاريخي للأنسان وفق هيردر انه يشبه التطور التاريخي للأنسان كصورة حياة الشجرة كما تقدم التي تنبت ثم تصل مرحلة الشباب ثم تترعرع ثم تصل مرحلة الذبول ولا تموت ثم تبدأ من جديد وهكذا وبذلك يطبق هيردر قانون التطور على تاريخ الحضارات فيرى بذلك ان الشعوب الشرقية القديمة، تمثل الطفولة للجنس البشري لانهم لا يعرفون شيئآ عن القانون وذلك بكونهم برابرة وكل ما يسود لديهم هو القانون الابوي المستبد؛ بينما تمثل الحضارة المصرية القديمة مرحلة الشباب من ذلك وهذه هي مرحلة الأستقرار والتي تخضع للقوانين وتميزوا بحرفة الزراعة؛ ونصل الى المرحلة الثالثة من مراحل تطور البشرية وهي مرحلة الرجولة ومرحلة النضج واهم ممثل لها هو عصر اليونان الذي كان يتميز بالفكر والحضارة الأنسانية، معبرآ عنها في ثلاث عبارات مهمة هي؛ الحياة، والأيحاء، والحركة [٢٠].

ويظهر سياق مفهوم هيردر للإنسانية في إطار فلسفته للتاريخ أنه لن يتم الوصول إلى هدف أو نهاية التاريخ البشري بمجرد اكتساب عدد معين من الصفات يعرّف هيردر الانسانية في النهاية، مستخدمًا نوع التعريف الدائري الذي يمثل كابوسًا لكل عالم منطقي، هي تعريف دائري مقنع في شكل افتراض، ينص ببساطة على أن الهدف من طبيعة الإنسان هو الطبيعة البشرية أو اتخاذ آخر مثال، دعونا ننظر إلى الإنسانية كما نعرفها، وفقًا للقوانين التي تكمن فيها: لا نعرف شيئًا أعلى من الإنسانية في الإنسان: دعونا نلاحظ الجنس البشري كما نعرفه، وفقًا للقوانين المضمنة فيه: نحن لا نعرف شيئًا أعلى في البشر من الإنسانية: لأنه حتى عندما نفكر في الملائكة أو الآلهة، فإننا نفكر فيها فقط على أنها مثالية، أعلى الكائنات البشرية(٢١).

المطلب السادس

العلاقة بين حركة التنوير والرومانسية

وقد كان تذبذب هيردر بين حركة التنوير والحركة الرومانسية يبدوا أنه موضوع أسئلة متعددة، فهناك سؤال آخر يحل محله من فكرة أنه بين الميول المادية والروحية وهذه اشكالية حقيقية وان الحقيقة الأولى منها هي تعني كل شيء، بما في ذلك الوجود البشري كله كما ان الأشخاص الذين يميلون إلى الروحانيات بدورهم يكسبون كل شيء من العالم الروحي، والحقيقة أن موقف هيردر بشكل عام هو محاولة لتحقيق المصالحة بين الاتجاهين، حيث يبدو أحيانًا ماديًا بحتًا، وربما تجد متطرفات الفكر المادي بعض الصفة المادية في فكره، بحيث يمكن أن يكون واحدًا منهم، ربما

يكمن اهتمام ماركس الجمالي وجماليات هيردر تأكيد على هذه الحقيقة [٢٢].

مع إيمان هيردر بحق كل حضارة في الوجود، ورفضه للأسئلة التي قد تثار حول أي الحضارات أفضل من غيرها، من ناحية أخرى، لم يؤكد المساواة بين جميع الشعوب في الحضارة، وهو أيضًا أدخلت عامل الجنس في الاعتبار إلى حد كبير، فالإنسانية، التي اختلفت من حيث الجنس، أصبحت مرة أخرى المهد أو التربة لظهور كائن بشري من النوع السامي، وتعني الكائن الحي في مراحل تطوره التاريخية، بمعنى آخر، لن يكون للجنس البشري حياة في حالة ثابتة لن تتغير إلى الأبد، بل مراحل تطويرية، كل منها تقربه إلى الكمال، "الوسط الطيب" الذي تنشأ فيه هذه الحياة التاريخية هو أوروبا، بسبب خصائصها الجغرافية والمناخية [٢٣].

الخاتمة

اولآ : آمن هيردر بنظرية التقدم في تفسير التاريخ كما فعل فولتير، وربط هيردر هذه النظرية بإيجاد علاقة وثيقة بين العقل والقيم الأخلاقية، بحيث لا يكون التقدم على حساب المبادئ والقيم الأخلاقية والدينية. كذلك. في ضوء ذلك، فسر أحداث التاريخ على أنها شبيهة بمسار الإنسان واندماجه من الولادة إلى النضج والكمال.

ثانياً : لم يكن لعصر التنوير الفرنسي توجهات موحدة، بل اجتمعت فيه فلسفات مثالية ومادية وتوجهات دينية وإلحادية، لكن ما وحدها هو الرغبة في تغيير أوضاع الأفراد والمجتمع في مجالات السياسة والاقتصاد. وحقوق الإنسان وغيرها من الأشياء التي لمست جوهر حياة الإنسان وحقوقه وحريته التي سُرقت عبر العصور المظلمة بطرق عديدة. وكان رائد هذا الاستنارة العقل البشري وأحكامه.

ثالثآ : القرن الثامن عشر، الذي عاش فيه وهيردر، طغت عليه الميول المادية والحركات الفكرية الرافضة للميتافيزيقا والدين، بسبب هيمنة الميول والخلافات والتخلف والجهل بما خلق رد فعل على الميتافيزيقي والديني. الفكر والحكم السياسي السائد في تلك العصور.

رابعاً: لعب الصراع بين الطبقات دوراً في ظهور حركة التنوير، حيث كانت وسيلة للطبقة البرجوازية الغنية في نضالها ضد الطبقة الإقطاعية وأركانها الفكرية، والتي اعتمدت على السيطرة الروحية على قناعات الناس من خلال السلطة الروحية للكنيسة. اعتبرت الطبقة البرجوازية هذه الأفكار عقبة أمام تقدم الإنسان وحصول الإنسان على حقوقه المشروعة في الحياة وخياراته الفكرية.

رابعآ : رفض هيردر الاتجاه التنوير السائد بين عدد كبير من مفكري عصره، ولهذا السبب انتقد النزعة العقلانية بينهم، وانتقد النهج المادي التجريبي الذي يسود على مفكري ومؤرخي عصر التنوير. واحد ثابت يتحكم في أحداث التاريخ. بل لكل حدث أسبابه وظروفه التي تؤثر عليه كما هو الحال في مختلف العصور التاريخية.

ويعد التطور والتقدم هو قدر الانسانية ومصيرها شرط ان تدخل في حسابنا مبدأ النسبية التاريخية، وهذا يعني ان التقدم الأنساني ليس واحدآ، ولا تحكمه معايير مطلقة تصدق على جميع الحضارات، ولكي تتحقق الأنسانية في نظر هيردر عليك ان تحقق مضمونها الحقيقي قبل ان تحقق صورتها الخارجية واذا كانت حياتك معتمدة على الغير وعلى عمل وافكار غيرك، هنا تكون قد فقد انسانيتك، بل وقد تنازلت عنها لغيرك وبذلك يوصي هيردر على اعتماد الفرد على نفسه لكي يكسب انسانيته فحرية الاختيار والخلق الأنساني هما وحدهما العنصر الالهي في الطبيعة الإنسانية وعند فقدهما تفقد الأنسانية دلالاتها الحقيقية.

* هوامش البحث *

* هو يوهان جوتفريد هيردر فيلسوف وكاتب الماني ولد في عام ١٧٤٤ في موهرونغن في بروسيا الشرقية وتوفي في عام ١٨٠٣ في فايمار ولهذا الفيلسوف حركة استثنائية مختلفة في تاريخ الأدب الألماني بسبب تيار الافكار الذي حركه والى الدافع الذي اعطاه للأجيال الجديدة فدرس الطب واللاهوت والفلسفة وتابع دروس، كانط. جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة، ص٦٩٩.

(١) ينظر: كوبلستون : تاريخ الفلسفة الحديثة، المجلد السادس، من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط، ترجمة، حبيب الشاروني ومحمود سيد احمد، مراجعة وتقديم امام عبد الفتاح امام، ط١، ٢٠١٠، المركز القومي للترجمة، ص ٢٤٨.

(٢) جامعة ستانفورد : موسوعة ستانفورد للفلسفة، ص١١.

(٣) هاشم يحيى الملاح : الوسيط في فلسفة التاريخ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ص ١٧٠.

(٤) محمد مجدي الجزيري: نقد التنوير عند هيردر، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٣٠.

(٥) ينظر : جامعة ستانفورد : موسوعة ستانفورد للفلسفة، مصدر سابق، ص٢٦.

(٦) مقارنة بين هردر وكنط؛ محمد الخشين ، موقع تفلسف:

http://tafalsouf.com/PageHerderLakhchine.htm .

(٧) محمد مجدي الجزيري : نقد التنوير عند هيردر، مصدر سابق، ص ٣٨

(٨) هاشم يحيى الملاح : الوسيط في فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص ١٧٠.

(٩)حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، ١٩٨٤م، ص ٧٥_ ٧٦.

(١٠) محمد مجدي الجزيري : نقد التنوير عند هيردر، مصدر سابق، ص ٤٤.

(١١) حسين مؤنس؛ التاريخ والمؤرخون، مصدر سابق، ص ٧٥_ ٧٦.

(١٢) محمد مجدي الجزيري : نقد التنوير عند هيردر، مصدر سابق، ص ٣٩.

(١٣) محمد شوقي الزين : فلسفة التاريخ وتكوين البشرية عند يوهان هردر، من نظام المعرفة الى نظام الحقيقة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود،، ص١٨.

(١٤) محمد مجدي الجزيري : نقد التنوير عند هيردر، مصدر سابق، ص١٣٦.

(١٥) حسين مؤنس؛ التاريخ والمؤرخون، مصدر سابق، ص ٧٥، ٧٦.

(١٦) كوبلستون : تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق، ص٢٤٩.

(١٧) محمد مجدي الجزيري؛نقد التنوير عند هيردر، مصد سابق، ص٣٩

(١٨) محمد مجدي الجزيري؛ نقد التنوير عند هيردر، مصد سابق، ص٣٩_ ٤٠

(١٩) عبد الحليممهورباشه : فلسفة التاريخ،مصدرسابق،ص٣٩_ ٤٠ .

(٢٠) عطيات ابو سعود : فلسفة التاريخ عند فيكو، مصدر سابق، ص ٢٢٥.

(21) Hans Adler : "Herder's Concept of Humanity." In: A Companion to the Works of Johann Gottfried Herder. Eds. Hans Adler and Wul, pp102.

(٢٢) محمد مجدي الجزيري؛ نقد التنوير عند هيردر، مصد سابق، ص٤٢_ ٤٣.

(٢٣) محمد مجدي الجزيري : المصدر نفسه، ص ١٤٢.

❊ المصادر والمراجع ❊

حسين مؤنس : التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، ١٩٨٤م ،

عطيات ابو السعود : فلسفة التاريخ عند فيكو، دار العارف للنشر، ١٩٩٧

عبد الحليم مهورباشه : فلسفة التاريخ؛ مدخل النماذج التفسيرية للتاريخ الأنساني، مركز نماء للبحوث والطباعات،

فردريك كوبلستون : تاريخ الفلسفة؛ المجلد السادس، من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط، ترجمة؛ حبيب الشاروني ومحمود سيد احمد، مراجعة وتقديم امام عبد الفتاح امام، ط١، ٢٠١٠، المركز القومي للترجمة

محمد شوقي الزين : فلسفة التاريخ وتكوين البشرية عند يوهان هردر من نظام المعرفة الى نظام الحقيقة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود،

محمد مجدي الجزيري : نقد التنوير عند هيردر، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع،

مقارنة بين هردر وكنط؛ محمد الخشين ، موقع تفلسف

،http://tafalsouf.com/PageHerderLakhchine.htm .

هاشم يحيى الملاح : الوسيط في فلسفة التاريخ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، _كلية الأداب، بغداد دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.

المصادر والمراجع الاجنبية :

- German History In Documents and Images, previous source , Johann Gottfried von Herder
- Hans Adler : "Herder's Concept of HumanIty.
- Companion to the Works of Johann Gottfried Herder. Eds. Hans Adler and Wul, pp102.

❊ ❊ ❊